

المحور 7: تطبيقات البنيوية التكوينية في النقد العربي.  
تجربة "محمد بنيس" في كتاب ( ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب -مقاربة  
بنيوية تكوينية)

بين "محمد بنيس" في المقدمة المنهجية أنه اعتمد المنهج البنيوي التكويني لأنه يرى فيه الأداة الضرورية التي تمكنه من مقارنة النص الأدبي مقارنة علمية، فقد اقتنع "بالبنيوية التكوينية كجواب مركزي على منهج القراءة، حيث أن كل قراءة علمية، بنيوية تكوينية، للنص الأدبي يجب أن تتم من داخل المجتمع، ما دام الفكر والإبداع جزءا من الحياة الاجتماعية".

### التصور المنهجي والاشتغال :

يؤكد "محمد بنيس" على أن المنهج البنيوي لا ينحصر في دراسة المضمون دون الشكل، بل إنه يعتبره المنطلق الأساس لدراستهما له، انطلاق الباحث من البنية السطحية ليحفر فيما بعد في البنية العميقة، أي انطلق من المعلوم إلى المجهول "للكشف عن القوانين التي تحكم البنيتين السطحية، والعميقة للمتن بعيدا عن مفهوم (تشومسكي) لهذين المصطلحين". حاول "محمد بنيس" في -بيانه المنهجي- أن يقدم مبرراته المنهجية التي دفعته إلى اختيار البنيوية التكوينية لمقاربة الظاهرة الشعرية المعاصرة في المغرب. فذكر منها انغلاق البنيوية (الشكلانية) على نفسها، مما جعل بعض الاتجاهات النقدية ترفض الانسحاق وراءها . غير أن ما يلفت الانتباه أن الباحث أسهب في القول عن المنهجين (البنيوية الشكلية) و(الاجتماعي الجدلي) مما يعطي الانطباع لأول وهلة أن مقارنة "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب" كانت في ضوء المنهجين السالف ذكرهما، وكان من المفروض أن يخوض الباحث في عرض البنيوية التكوينية بوصفها المنهج المركزي الذي صرح بالاعتماد عليه في هذه المقاربة .

ومن هنا نقول أن الباحث رأى منهجي في المنهجين البنيوي الشكلي والاجتماعي الجدلي بديلا عن المنهج البنيوي التكويني وهذا ما يؤكد "محمد بنيس" نفسه في قوله "إن اختيار التيار الاجتماعي الجدلي يؤمن قطعا بأن التحليل الداخلي للعمل الأدبي لن يوصلنا إلى القبض على الدلالة المركزية للنص أي الكشف عن الرؤية" ويعتقد صادقا بأن الطرائق الشكلانية والبنيوية تحول النقد الموضوعي إلى مجرد تحليل وصفي، ذي آفاق ضيقة لا تستوعب ما يتحرك خلف البنيات اللغوية".

وإذا كان المنهج الاجتماعي لم يمكن الباحث من القبض على (البنية العميقة الدالة) وأن المنهج البنيوي الشكلي لا يساعد على استيعاب البنيات اللغوية . فإن الباحث يوهنا بالفهم بأن الجمع بين المنهجين هو السبيل الموصل إلى بر الأمان. وإن كان قد أشار إلى بعض مبادئ "جولدمان" فإن المنظور الاجتماعي التقليدي كان المهيم على المنظور البنيوي التكويني، ما يعطي الانطباع على أن التلفيق المنهجي كان سيد الموقف. وهذا ما كشف عنه أيضا الباحث المغربي "محمد خرماش" حيث قال "وقد دفعه هذا التلفيق المنهجي إلى نوع من الفصل بين الجدلية العامة التي تقود النص من الخارج. والجدلية الخاصة التي تقود قوانينه الداخلية. وتمس عالم الكتابة متناسيا في ذلك نظرية "جولدمان" في أن كل تبين

داخلي هو سيرورة في التشكل نحو درجة عالية من التجانس والتآلف في بلورة رؤية للعالم تتمثل وعي المجموعة الاجتماعية التي هي الذات الفاعلة جدليا . والمبدع الحقيقي في نهاية المطاف"

وهناك مسألة أخرى تتصل بالمنهج الذي اعتمده "محمد بنيس" وهي عدم تقيده بما هو منظومة متكاملة من مبادئ ومفاهيم وأدوات إجرائية، وإن كان الباحث قد أشار إلى مبدئين من مبادئ "غولدمان" أولهما "أن كل تأمل في العلوم الإنسانية يحدث لا من خارج المجتمع، بل إن هذا التأمل جزء... من الحياة الثقافية لهذا المجتمع . ومن خلالها الحياة الاجتماعية العامة" ، وثانيها "أن الفكرة الأساسية لكل علم اجتماع جدلي تكويني هي أن الأفعال الإنسانية هي أجوبة شخص فردي جماعي".

نستدل من قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية المثبتة في خاتمة البحث أن "محمد بنيس" لم يعمق تصوره المنهجي في دراسته المنهج التكويني. وهذا تفسير يؤكد بوضوح أسباب إهماله لكثير من المفاهيم الأساسية المؤطرة للمنظومة المنهجية التكوينية. فلم يذكر الباحث إلا مرجعا واحدا من مراجع "جولدمان" وهو (الفلسفة والعلوم الإنسانية) .

حاول "محمد بنيس" أن ينسج منهجه على من منوال المنهج "الجولدماني" حيث انطلق من مرحلة (الفهم) التي تجسدت في تحليله للمتن الشعري المعاصر في المغرب في عدة مستويات، فقرأ البنية السطحية للمتن الشعري قراءة لغوية (عروضية لسانية دلالية ) ، ليصل إلى الوحدات الدالة (البنية الجزئية) التي أدمجها في بنية أكثر اتساعا من الأولى (البنية العميقة) التي اعتبرها الباحث في منزله (الرؤية للعالم). وكما هو واضح أن الباحث انطلق من المعلوم ليقف عند ما هو مجهول.

أما مرحلة التفسير التي اصطلح عليها الباحث [خارج داخلي] ليدل على "بنية أكثر اتساعا من الثانية حيث النص الغائب الذي يستحيل إلغاؤه، ونحصل من خلاله على مستويات من علاقات الاختلاف والانتلاف، ولكن هذا الخارج الداخلي يتمثل في البعد الاجتماعي الجدلي للمتن أيضا".

#### خاتمة

ويمكن القول في نهاية الأمر أن "محمد بنيس" قد وجد ضالته المنهجية في مرحلتي الفهم والتفسير اللتين يركز عليهما بوصفهما إجراءين ضروريين في تطبيقات البنية التكوينية ، أكثر منهما مفهوميين أو مقولتين تأسيسيتين في منظومتها المتكاملة، وربما كان تمثله المنهجي نسج على منوال "جولدمان" في كتابه "الإله الخفي".